مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 10، عدد رقم: 02، جوان 2021، صص: 79- 92

تاريخ الاستلام(2021/01/02)تاريخ القبول (2021/05/17)تاريخ النشر (2021/06/30)

# قضية القديم والحديث بين ابن رشيق وابن شرف

# The issue of the modern and the ancient between Ibn Rashik and Ibn Sharaf

علي لشهب[1]، أحمد داود[2]

[1] جامعة تيارت (الجزائر)، ali.lekmari91@gmail.com

[2] جامعة تيارت (الجزائر)، daoudmhamed74@gmail.com

**ملخص:**

تعد قضية القديم والحديث في النقد الأدبي من أولى القضايا المطروحة، والتي دار حولها كلام كثير في نقدنا القديم. ومحور هذه القضية يدور حول الشعر العربي في انقسامه إلى طرفين؛ قديم وحديث، وقد تداول النقاد بالدراسة لهذه القضية، ومن بين هؤلاء النقاد نجد ابن رشيق في كتابه العمدة، وكذا ابن شرف في كتابه أعلام الكلام على اختلاف تسمية الكتاب. لذا سأقوم في هذه الورقة البحثية بدراسة هذه القضية عند هذين الناقدين المغاربيين، مشيرا إلى نصوصهما، ومبرزا خصائص كل ناقد ونظرته وطريقة طرحه.

**كلمات مفتاحية:** القديم، الحديث، النقد، ابن رشيق، ابن شرف.

**Abstract**:

The ancient and the modern issue in literary criticism is regarded as one of the first issues raised, around which revolved much talk in our ancient criticism. The focus of this issue revolves around Arabic poetry in its division into two parties; ancient and modern, and critics have deliberated the study of this issue, and among these critics we find Ibn Rashiq in his book Al-Umda (Mayor), as well as Ibn Sharaf in his book A'lam Al-Kalam, despite the different naming of the book. Therefore, in

المؤلف المرسل: علي لشهب، الإيميل: ali.lekmari91@gmail.com

this research paper, this issue is studied with these two Maghreb critics, by referring to their texts, and highlighting the characteristics of each critic, his viewpoint and the way he presented it.

**Keywords**: Ancient, Modern, Criticism, Ibn Rashik, Ibn Sharaf

**مقدمة:**

تتمتّع الحياة تحت غطاء الزمان والمكان بمبدأ التغيّر والتحول والانتقال، وفي الانتقال الزماني أو المكاني أو التغيّر المرحلي ينشأ الاختلاف، وفي الاختلاف يتشكل الجدل والصراع، مع تعدده واختلافه في نظراته وموادّه وطبائعه، ومن أبرز الصراعات التي عُرفت منذ القدم إلى يومنا هذا صراع القديم والحديث، مع" أن الاختلاف بين القديم والمحدَث ليس مقصورا على الأدب وحده، وإنما هو يتناول كل شيء، يتناول الفن والعلم، ويتناول الفلسفة، ويتناول الحياة نفسها في فروعها المختلفة المادية، والسياسية والاجتماعية، وذلك معقول، لأن الحياة الإنسانية [...] تقوم على أصلين لا ثالث لهما ولا محيد عنهما، هما البقاء من ناحية، والاستحالة من ناحية أخرى."[1]

ولذلك نجد في الأدب العربي هذا الصراع، وهو صراع بين طائفة تتشبّث بالقديم، وأخرى تميل للحديث وتتطلّع للجديد، وقد كان هذا الصراع على" إثر انتقال العرب بعد الإسلام من طور البداوة إلى طور الحضارة، ومن حياة يعمها القلق وعدم الاستقرار والشظف والمسغبة، إلى حياة مستقرة ناعمة، يظللها الثراء والترف المادي والعقلي"[2]

فالطائفتان؛ طائفة القديم وطائفة الحديث، كل واحدة منهما تقوم على مجموعة من الشعراء، وجملة من الأفكار والرؤى، ولها منهجها في قرض الشعر، فالقديم ـ كما يقولون ـ هو الأصل والأساس في البناء الشعري، والأوائل هم السباقون في الإبداع والتعبير، وآخرون يذهبون إلى الحديث لما فيه من الجدة والرقة ومواكبته لروح ذلك العصر.

والقديم . كما هو معروف لدى الكثير . هو ذلك العهد الأوّل الذي يبدأ من العصر الجاهلي ( ما قبل الإسلام بقرن تقريبا) إلى أوائل القرن الثاني، ثم يليه عهد المحدثين والذي ظهرتْ بداياته قبيل قيام الدولة العباسية إلى يومنا هذا[3]. وقد جرى على ألسنة كل فريق كلام كثير وقضايا نقدية وكتب ثرية تكشف عمق هذا الصراع، وقيمته العلمية في تاريخ النقد الأدبي.

لذلك نجد نقادنا القدماء قد أولوا هذه القضية اهتماما متزايدا لِما تركته من كمٍّ هائل من الأشعار والأفكار والنقاشات، فلا يصادفنا ناقد في الغالب إلا وقد ساهم حول موضوع القدماء والمحدثين ولو بإشارات نقدية سريعة، بدءا بابن سلام الجمحي وابن قتيبة الدينوري مرورا بابن رشيق وابن شرف القيروانيين[4].

وسأحاول الآن أن أشرع في دراسة قضية القديم والحديث عند هذين الناقدين المغاربيين؛ ابن شرف وابن رشيق، واللذين قد تطرقا إلى هذه القضية في كتابيهما وأدليا برأيهما بشكل واضح ومنصف كما سنعرف ذلك من خلال هذه الدراسة المتواضعة.

**ابن رشيق القيرواني:**

يبدأ ابن رشيق كعادته في أغلب القضايا بمجموعة من الأقوال الواردة عن السابقين له من أهل اللغة والأدب والنقد، يقدمها للإبانة وللتمهيد، بطريقة متسلسلة جميلة جذابة للقارئين، وقد استهل ابن رشيق بابه ( القدماء والمحدثين) بما ورد عن أبي عمرو بن العلاء والأصمعي وابن قتيبة وعلي ابن أبي طالب، ثم بعد ذلك يقدّم مثالا رائعا عن القدماء والمحدثين بأسلوب جميل وقول وجيز دقيق، إلى أن خلص إلى قول الحسن بن وكيع وعبد الكريم النهشلي.

يشرع ابن رشيق في هذه القضية ابتداء ببيان قاعدة أساسية في النقد الأدبي، يقول:" كل قديم من الشعراء فهو مُحْدَثٌ في زمانه بالإضافة إلى مَنْ كان قبله"[5].

فهذه القاعدة ـ كما هو واضح ـ متفق عليها عند جل النقاد المنصفين، ولذلك افتتح ابن رشيق" بحثه في هذه القضية بتأكيد وجود القديم والحديث"[6] فجاء استهلاله هذا واضحا ودقيقا، " لأنه يحدّد الحداثة بمفهومها الواسع لا بشروطها الضيّقة التي تنظر إلى هذه القضيّة نظرة يطبعها الإجحاف أو التّقصير"[7].

فالشاعر الواحد في حدّ ذاته باعتبار الزمان، وباعتبار هذه القاعدة التي أشار إليها ابن رشيق نجده يتقلب بين تسميتين اثنين؛ القديم والحديث، فهو ما دام تحت تأثير الزمن سيقع عليه ـ بلا شك ـ وصف القدم ووصف الحداثة بالمنظور العام، وستظل هكذا العجلة تسير على الشعراء وغير الشعراء بهذه الوتيرة وعلى هذا النحو الذي بيّنه ابن رشيق قبل قليل.

ثم يقوم ابن رشيق بعرض طائفة من أهل اللغة؛ من أولئك الذين تميزوا بمبالغتهم في نصرة القديم، كالأصمعي وأبي عمرو بن العلاء وابن الأعرابي، فكان يقول أحدهم ( أبو عمرو بن العلاء):" لقد أحسن هذا المولد حتى هممتُ أن آمر صبياننا بروايته"[8]. وكان قصْدُ أبي عمرو بن العلاء بالمولد هنا هو شعر جرير والفرزدق، " فجعله مولداً بالإضافة إلى شعر الجاهلية والمخضرمين، وكان لا يعد الشعر إلا ما كان للمتقدمين"[9].

ثم تشتد لهجة أبي عمرو بن العلاء على حسب ما قدمه بعد ذلك ابن رشيق حينما سئل ابن العلاء عن المولدين فقال:" ما كانَ مِن حسَن فقد سُبِقوا إليه، وما كان من قبيح فهو من عندهم"[10].

فهذا القول ـ كما نرى ـ فيه مبالغة كبيرة، واختلاف ظاهر بين قوله هذا وسابقه، فهو هنا يرى أن الحسن مقصور فقط على القدماء، والقبح هو من صنعة المحدثين!!. ولعل السبب الرئيس في هذا راجع بالأساس إلى حاجة الرواة واللغويين إلى إقامة الشاهد كما يشير ابن رشيق[11]، فـ" كانت الاعتبارات اللغوية في ذلك العلم تستوجب على هؤلاء أن يعنوا بالقديم، لأنه هو الذي يستشهد به في الدراسات القرآنية والحديثية واللغوية، بينما لا يوثق بما يأتي به المولدون كما يقول ابن رشيق."[12]

ومعروف أن أبا عمرو بن العلاء (ت.154هـ) هو من كبار اللغويين والنحاة، وأحد الرجال المبرّزين في الرواية والقراءة[13]، وصاحب حرص شديد على لغته ومبجل أيضا عند قومه، مما يوحي بذلك مرجعية بعض الأسباب التي دفعته إلى إصدار مثل هذه الأحكام[14].

ويقدم لنا الأستاذ أحمد يزن توضيحا جميلا ودقيقا حول الأسباب التي أدّت إلى هذه الأحكام من قبل اللغويين والرواة فيقول:" ومرد ذلك على ما يبدو تسرب اللحن لأشعارهم من جراء مخالطتهم الأعاجم، ثم ما في شعرهم من ضعف وخروج عن المألوف. ونحن نعلم أن الدراسات القرآنية والرغبة في فهم معاني القرآن ومفرداته بشكل دقيق كانتا منطلق الدراسات اللغوية، كما كانتا حافزا على جمع التراث الشعري القديم ودراسته، ولكن بعد اتساع الرواية وبعد أن كثر الرواة وجُمع الشعر، أصبح الشعر غاية في ذاته يدرس لقيمته الفنية، ومع ذلك بقيت الاعتبارات اللغوية تهيمن على أحكام العلماء والرواة."[15]

نعود إلى نص ابن رشيق، فبعد أن تحدّث عن اللغويين وأنصار القديم يذهب بنا إلى قول ابن قتيبة الدينوري وعلي ابن أبي طالب، فيقول ابن رشيق:" فأما ابن قتيبة فقال: لَمْ

يَقْصُر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خَصَّ قوماً دون قوم، بل جعل الله ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دَهر، وجعل كل قديم حديثاً في عصره"[16].

ثم يقول بعد ذلك:" ومما يؤيد كلام ابن قتيبة كلامُ علي ﷺ:(( لولا أنّ الكلامَ يُعاد لنفِد))، فليس أحدنا أحق بالكلام من أحد، وإنما السبق والشرف معا في المعنى على شرائط"[17].

فالنص الأول لابن قتيبة يؤكد على قاعدة مهمة وهي أن العلم والشعر وغير ذلك مما بثّه الله في خلقه هي ليست أشياء مقصورة على طائفة دون أخرى، أو هي مخصوصة بزمن دون آخر، بل هي مشتركة بين الناس جميعا، ولذلك فهو يرى أن" القدم والحداثة قيم متحولة لا يمكن أن تتخذ أسسا للتقييم"[18].

لذلك يرى ابن رشيق تعقيبا على نص علي ابن أبي طالب أن لا أحد أحق بالكلام من أحد، وأن السبق والشرف في ابتداع المعاني وطرق الصياغة، ومن هنا كان عنترة بن شداد رغم ما أتى في معلقته[19] من البديع الذي لم يسبقه متقدم ولا متأخر يرى " نفسه محدثا، قد أدرك الشعر بعد أن فرغ الناس منه ولم يغادروا له شيئاً"[20].

وتجدر الإشارة هنا إلى طريقة ابن رشيق في طرح القضية وكيف كان انتقاله بارعا حينما ابتدأ بمراعاة السيرورة الزمنية حول قضية القديم والحديث ثم الذهاب إلى فكرة الابتداع في المعاني وطرق الصياغة، فقد حاول أن يربط هذه العلاقة المتمثلة في مقوّمين بارزين هما الزمن والصياغة بمجمل القضية، مع الاستعانة بمذاهب العلماء واللغويين والنقاد[21].

ثم يَخلُص ابن رشيق بعد ذلك إلى تقديم صورة موجزة وكلام دقيق عن قضية القدماء والمحدثين، فيقول: " وإنَّما مثَلُ القُدمَاء والمُحدَثينَ كمَثَلِ رجُلَيْن: ابْتدَأ هذا بِناءً فأَحْكَمه وأتْقَنهُ، ثُم أتَى الآخَرُ فنَقشَهُ وزَيّنَهُ، فالكُلْفَةُ ظَاهِرَةٌ علَى هذا وإِنْ حَسُن، والقُدْرَةُ ظَاهِرةٌ علَى ذَلكَ وإِنْ خَشُن."[22]

يشبه ابن رشيق القديم والمحدث برجلين بنَّاءَيْن؛ جاء القديم فابتدأ بالبناء إلى أنْ أحكمه وأتقنه، ثم أتى المحدث فوجد البِناء متقنا فزيّنه ونقشه وأظهر فيه لمساته الخاصة، ولذلك نجد الكلفة ظاهرة على البنّاء الثاني ( المحدث) وإن أحسنَ في زينته ونقشه وتكملته للبناء، كما أن القدرة ظاهرة على البنّاء الأول ( القديم) وإن خَشُن.

فالفرق بين البنّاءين تكمن في الحقيقة بين الكلفة والقدرة، وبين الخشونة والليونة، فالقدماء يتميزون بمقدرتهم في قرض الشعر مع ما يبدو في آثار أشعارهم من الشدة والفحولة والجزالة، والمحدثون يتميزون بالتكلف وحب التصنع ولين القول وسلاسة القريض، ولذلك عرّج ابن رشيق إلى قول ابن وكيع التنيسي[23] وأُعجب برأيه حينما قال عن أشعار المولدين:" إنما تروى لعذوبة ألفاظها، ورقتها، وحلاوة معانيها، وقُرْبِ مأخذها، ولو سلك المتأخرون مسلك المتقدمين في غلبة الغريب على أشعارهم ووصف المَهامِه والقفار، وذِكر الوحوش والحشرات . ما رُوِيت؛ لأن المتقدمين أولى بهذه المعاني، ولا سيما مع زهد الناس في الأدب في هذا العصر وما قاربه، وإنما تكتب أشعارهم لقربها من الأفهام، وأن الخواصَّ في معرفتها كالعوَامّ، فقد صار صاحبها بمنزلة صاحب الصوت المطرب: يستميل أمَّة من الناس إلى استماعه وإن جهل الألحان وكسر الأوزان.. وقائل الشعر الحُوشِيِّ بمنزلة المغني الحاذق بالنغم غير المطرب الصوت: يُعرِضُ عنه إلاَّ مَنْ عرَف فضل صنعته، على أنه إذا وقف على فضل صنعته لم يصلح لمجالس اللذات، وإنما يجعل معلماً للمطربات من القَيْنَات: يقومهن بحذقه، ويستمتع بحلوقهن دون حلقه، ليسلمن من الخطأ في صناعتهن، ويطربن بحسن أصواتهن"[24].

فقد استحسن ابن رشيق نص ابن وكيع وأعجب به، وقد أتى به على طوله ليبيّن أهميته وما أورده ابن وكيع من فروقات كل طرف ( قديم ومحدث) وما يندرج تحت ذلك من معايير وأسباب، وزاد إعجاب ابن رشيق بهذا النص حينما شبه ابن وكيع المحدثين بصاحب الصوت المطرب، والقدماء بالمغني الحاذق بالنغم غير المطرب الصوت، ورأى ابن رشيق أن هذا التمثيل مِن أحسن ما وقع[25].

ورغم إعجاب ابن رشيق بنص ابن وكيع إلا أن إعجابه بنص الأستاذ عبد الكريم النهشلي أكبر، يقول ابن رشيق:" ولم أر في هذا النوع أحسن مِن فَصْلٍ أتى به عبد الكريم بن إبراهيم فإنه قال: قد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد فيحسن في وقت مالا يحسن في آخر، ويستحسن عند أهل بلد مالا يستحسن عند أهل غيره، ونجد الشعراء الحُذَّاق تقابل كل زمان بما استُجِيد فيه وكثُر استعماله عند أهله، بعد أن لا تخرج من حسن الاستواء، وحد الاعتدال، وجودة الصنعة، وربما أُستُعمِلت في بلد ألفاظ لا تستعمل كثيراً في غيره: كاستعمال أهل البصرة بعض كلام أهل فارس في أشعارهم، ونوادر حكاياتهم، قال: والذي أختاره أنا التجويد والتحسين الذي يختاره علماء الناس بالشعر، ويبقى غابره على الدهر،

ويبعد عن الوحْشِي المستكره، ويرتفع عن المولد المنتحل، ويتضمن المثل السائر، والتشبيه المصيب، والاستعارة الحسنة"[26].

فالنهشلي هنا يحاول أن يبيّن للقارئ نظرته الموضوعية في نقد الشعر، وهي أن الأزمنة والأمكنة تتغيّر وتتبدّل، وأنَّ مِن الألفاظ ما يحسُن في بلد دون آخر، فالعبرة في كل ذلك إنما تكون بالتجويد والتحسين، " فليس من أتى بلفظ محصور يعرفه طائفة من الناس دون طائفة لا يخرج من بلده ولا يتصرف من مكانه كالذي لفظُه سائرٌ في كل أرض، معروف بكل مكان، وليس التوليد والرقة أن يكون الكلام رقيقاً سَفْسَافاً، ولا بارداً غثاً، كما ليست الجزالة والفصاحة أن يكون حُوشياً خشِناً، ولا أعرابيّاً جافياً، ولكن حالٌ بين حالين"[27].

ومن هنا نستنتج رأي النهشلي وابن رشيق في أن التجويد والتحسين معياران أساسيان في إخراج العمل الشعري على الوجه الصحيح، فلا في قدم القديم أو حداثة الحديث يكون التميز، بل حينما يتمّ وضع الشعر على قاعدتيْ التجويد والتحسين، وهذا ما يؤهل صاحبه أن يكون لفظه سائرا في كل عصر ومصر، ويبقى غابره على الدهر.

هذه هي إذن دراسة لقضية القديم والحديث عند الناقد ابن رشيق القيرواني ونظرته فيها، " وهي كما نرى وجهة نظر عادلة تدل على بعد في النظر وحصافة في الرأي ووضوح في الرؤية، مع طول دربة ومراس، ولن يتأتى مثل ذلك إلا لناقد وشاعر وأديب كابن رشيق المسيلي"[28].

**ابن شرف القيرواني:**

لقد عاصر ابن شرف القيرواني صاحبه ابن رشيق، ودارتْ بينهما أحاديث ومواقف، وكان ابن شرف واحدا من أبرز المنافسين لابن رشيق في المكانة العلمية لدى مجلس الأمير المعزّ بن باديس الصنهاجي[29]، ومن بين أهم أعمال ابن شرف القيرواني كتابه أعلام الكلام[30]، وقد عالج فيه كثيرا من القضايا النقدية المتداولة في زمنه، كقضية القديم والحديث التي سنتعرض لها الآن، إلاّ أن حديثه دائما ـ كما هو معروف ـ يتميّز بالإيجاز والتلميح وكثرة البديع، وهو بذلك يحاول أن يسلك طريقا جديدا في النقد الأدبي العربي، على شاكلة المقامات[31].

يقول ابن شرف في قضية القديم والحديث:" وتحفّظْ من شيئين: أحدهما أنْ يحملك إجلالك القديم المذكور، على العجلة باستحسان ما تسمع له، والثاني أن يحملك

إصغارك المعاصر المشهور، على التهاون بما أُنشدْتَ له، فإن ذلك جَوْرٌ في الأحكام وظلم من الحكام حتى تمحّص قولهما، فحينئذ تحكم لهما أو عليهما"[32].

فابن شرف وهو يحدثنا هنا عن القدم والحداثة نجده يتشابه في طرحه مع قول ابن قتيبة في مقدمته حين قال:" ولا نظرتُ إلى المتقدِّم منهم بعين الجلالة لتقدُّمه، وإلى المتأخِّر (منهم) بعين الاحتقار لتأخُّره. بل نظرتُ بعين العدلِ على الفريقين، وأعطيتُ كلاًّ حظَّه، ووفّرتُ عليه حقَّه."[33]

فالفكرة واحدة كما نرى، لكنّ ابن شرف ـ دائما ـ يحاول أن يظهر تميّزه في الأسلوب، وذلك بتركيزه على البديع، فهو هنا ينبّه القارئ أن لا يتعجّل باستحسان القديم وإجلاله، كما لا يتسرّع باستصغار المعاصر والتهاون به، بل لابد من التحرّي والعدل وممارسة التمحيص.

ولقد ركّز ابن شرف في قضيته هذه على إصرار الناس في إجلالهم للقديم، ورأى أن هذا الأمر" في اعتلاقه استصعاب، وفي صرف العامة وبعض الخاصة عنه إتعاب"[34]، وبيّن هذا السلوك ( سلوك التشبّث بالقديم) من القرآن الكريم حين قال تعالى متحدّثا عن الكافرين: إِنَّا وَجَدنَآ آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقتَدُون" (الزخرف. الآية 23)[35]، وقال عنهم أيضا: :" بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا" ( البقرة، الآية 170).

فنلاحظ أن ابن شرف بعد تنبيهه للقارئ بالعدل وعدم الجور، يشير إلى صفة التشبّث بالقديم الواردة في القرآن الكريم، ليؤكد لنا أن هذا التصرف موجود منذ القدم، ولذلك أطلعنا ابن شرف بأبيات يبيّن فيها رأيه على طريقته الخاصة في طرح القضايا والأفكار، يقول ابن شرف:

أَغْرَى النَّاس بِامْتِدَاحِ القَدِيْمِ... وَبِذَمِّ الجَدِيْدِ غَيْرِ ذَمِيْمِ
لَيْسَ إِلاَّ لأَنَّهُم حَسَدُوا الحَيَّ... وَرَقوا عَلَى العِظَامِ الرَّمِيمِ[36]

ويقول أيضا:

قُلْ لِمَنْ لاَ يَرَى المُعَاصِرَ شَيْئاً... وَيَرَى لِلأَوَائِلِ التَّقْدِيْمَا
إِنَّ ذَاكَ القَدِيْمُ كَانَ جَدِيداً... وَسَيغْدُو هَذَا الجَدِيدُ قَدِيْمَا[37]

ولعل ابن شرف القيرواني في أبياته هذه يُعَدُّ من الأوائل الذين صاغوا طرحهم النقدي في شكل أبيات، وهي طريقة محبّبة للقراء وللطلبة في الغالب، وهو يرى هنا أن الناس

اعتادوا على مدح القديم، مع أن القديم هو في الحقيقة كان جديدا، كما أنه سيأتي يوم على الجديد فيصير قديما هو أيضا، وهذه سنة الحياة.

فالسنّة الكونية المتمثلة في السيرورة الزمنية قد أشار إليها ابن رشيق في مطلع حديثه كما رأينا، لكن ابن شرف لم يستهل بها حديثه كما فعل صاحبه، إنما ترك هذه القاعدة في آخر القضية ضمن بيت شعري شامل كخلاصة لطرحه النقدي.

لذلك فإنّ" ابن شرف .وإن أظهر ليونة وتفهما للأمر .فإنه لم يعجبه المتعصبون من الجانبين، فردّ عليهم بأنّ النقص من طبيعة البشر، وأن التفوق المطلق والهيمنة الفنية من مستحيلات الأمور. لذلك يجب أن يتمعّن أصحاب الأحكام ويتريّثوا قبل أن يصدروا آراءهم. فالجديد ليس جيدا كله ولا رقيقا كلّه، والقديم ليس خشنا كله، ولا حوشيا في مجمله"[38].

هذه هي إذن نظرة ابن شرف للقديم والحديث، وإن بدا متحيزا للحديث، فهو ـ في الواقع ـ يلوم كلا الطرفين من المتعصبين، ويحثّ النقاد والدارسين للشعر على التمحيص والتحفّظ واجتناب الظلم، كما نراه في صفحات كتابه ينظر إلى الشعراء وإلى أشعارهم بمنظار الناقد المدقق الذي لا تأخذه أسبقية فلان، ولا شهرته، ولعل من بين أبرز المواقف في ذلك هو انتقاده الشديد لامرئ القيس في مواضع من كتابه[39].

وبهذا نكون قد استنتجنا" من كل ذلك إلى أن ابن شرف حاول أن يظهر بمظهر العالم المحقق الذي يعطي الأمور حقها في تؤدة وترو بعيدا عن النظرة المسبقة أو المتسرعة، وبخاصة في قضية كهذه شغلت بال النقاد قديما وحديثاً، وظل الناس يتصارعون حولها"[40].

وخلاصة القول هنا كما نرى هي أن نظرة ابن شرف تقترب كثيرا من نظرة ابن رشيق في قضية القديم والحديث، إلا أن ابن شرف كان أقل عمقا ودراسة لهذه القضية ولجل القضايا المطروحة في كتابه، كما إن ابن شرف لا نراه يستجمع آراء السابقين من النقاد كما يفعل ابن رشيق، ولعل طريقة ابن رشيق في التمهيد والعرض والتحليل والاستخلاص نفتقدها في عرض ابن شرف لهذه القضية ولغيرها، لذلك كان كتاب العمدةِ لابن رشيق عمدةً بحق في طرح القضايا النقدية على الطريقة المشوّقة والجامعة والأصيلة، كما لا ننسى فضل الناقد ابن شرف في أن سلك بنا طريقا في النقد الأدبي قل عابروه ومريدوه، فلكلا الناقدين في الحقيقة أفضال عائدة على النقد المغاربي خاصة والعربي عامة.

## مراجع البحث وإحالاته:

1. حسين طه، حديث الأربعاء، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014، ج.2، ص328.329.

2. موافي عثمان، الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم تاريخها وقضاياها، دار المعرفة الجامعية، 1998، ص22.

3. ينظر: إبراهيم طه أحمد، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، دار الفيصلية، مكة المكرمة، 2004، ص114.

4. لعل القائمة طويلة للحديث عن النقاد واللغويين والأدباء الذين تحدثوا عن قضية القديم والحديث، فهم كثيرون ومختلفون أيضا في الأفكار بين متعصب للقديم أو متعصب للحديث أو بينهما على اعتدال وتوسط.

5. ابن رشيق الحسن، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط.5، 1981، ج.1، ص90.

6. الصيقل محمد بن سليمان، البحث البلاغي والنقدي عند ابن رشيق القيرواني في كتابه (العمدة)، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، الرياض، ط.1، 2004، ص518.

7. مرتاض محمد، النقد الأدبي القديم في المغرب العربي ـ نشأته وتطوّره حتى القرن السادس الهجري مقاربة تاريخية فنية، دار هومه، الجزائر، 2015، ص116.

8. ابن رشيق، المصدر السابق، ج.1، ص90

9. ابن رشيق، نفسه. ص90.

10. ابن رشيق، المصدر نفسه، ص90.91.

11. ينظر: ابن رشيق، نفسه، ص91.

12. يزن أحمد، النقد الأدبي في القيروانفي العهد الصنهاجي، مكتبة المعارف الجديدة الرباط، 1985، ص228.

13. ينظر ترجمته على سبيل المثال:

ـ السيرافي أبو سعيد، أخبار النحويين البصريين، تح: محمد طه الزيني، محمد عبد المنعم خفاجي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط.1، 1955، ص22.

. الذهبي شمس الدين، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تح: طيار آلتي قولاج، مركز البحوث الإسلامية استنبول، ط.1، 1995، ج.1، ص223. 237.

14. ومع ذلك، وفي مقابل هذه الأحكام نجد أن أبا عمرو بن العلاء قد ضم شعر المحدثين في اختياره للأشعار الجيدة من الجاهليين والإسلاميين، لذلك لابد من التريّث والدراسة المعمقة هنا كيلا نظلم الرجل بأنه كان معاديا تماما للحديث. ينظر هنا: أبشر المهدي مأمون، أبو عمرو بن العلاء ناقداً، مجلة جامعة دنقلا للبحث العلمي. السودان، العدد 9، 2015، ص118.

15. يزن أحمد، المرجع السابق، ص228.

هناك حديث آخر حول هذا التعصب وأسبابه للأستاذ نعمة رحيم العزاوي وهو كلام يشبه كثيرا مع ما ذكره الأستاذ أحمد يزن، لكنّ كلام الأستاذ العزاوي فيه زيادة وتبسيط، ينظر إليه للمستزيد: العزاوي نعمة رحيم، النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري، وزارة الثقافة والفنون. بغداد، دار الحرية، 1978، ص85. 95.

16. ابن رشيق، المصدر السابق، ص91.

17. ابن رشيق، المصدر نفسه، ص91.

18. يزن أحمد، المرجع السابق، ص229. لعل نظرة ابن قتيبة حول قضية القديم والحديث من بين أولى النظرات الصائبة والرشيدة في نقدنا الأدبي، ولو يسع المقام لبسطنا أقواله وما تداوله النقاد من الدراسات حوله.

19. مطلعها هل غادر الشعراء من متردّم.

20. ابن رشيق، نفسه، ص91.

21. يُعرف ابن رشيق من بين النقاد القدماء بطريقته التسلسلية الجميلة، وأسلوبه التدريجي الجذّاب، فضلا عن سعة علمه واطلاعه وتمكنه في الأدب والنقد، وهذا ما يجعل كتاب العمدة من المصادر البارزة في تاريخ النقد الأدبي عند العرب.

22. ابن رشيق، المصدر نفسه، ص92.

23. هو الأديب والشاعر أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع التنيسي نسبة إلى تِنِّيس وهي مدينة بمصر. توفي سنة 393هـ. ينظر:

. ابن العديم الصاحب كمال الدين، بغية الطلب في تاريخ حلب، تح: سهيل زكار، دار الفكر. بيروت، ج.5، ص2474. 2477.

24. ابن رشيق، العمدة، ص92.

ينظر: التنيسي ابن وكيع الحسن، المنصف للسارق والمسروق منه . في إظهار سرقات أبي الطيب المتنبي، تح: عمر خليفة بن إدريس، منشورات جامعة قاريونس بنغازي، ليبيا، ط.1، 1994، ج.1، ص286.287.

25. ينظر: ابن رشيق، المصدر السابق، ص92.

26. ابن رشيق، المصدر نفسه، ص93.

27. ابن رشيق، المصدر نفسه، ص93.

28. خلدون، بشير، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص193.194.

29. ينظر: ابن شرف، رسائل الانتقاد، تح: حسن حسني عبد الوهاب، دار الكتاب الجديد، لبنان، ط.1، 1983، ص10.09.

30. يقال أعلام الكلام، أو مسائل الانتقاد أو رسائل الانتقاد، والاختلاف هنا . على الأرجح . يقع في العنوان فقط لا في محتوى الكتاب. ينظر مثلا: عباس إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، دار الثقافة، لبنان، ط.4، 1983، ص460.461.

31. يذهب بعض الباحثين كإحسان عباس ( المرجع السابق، ص461) إلى أن ابن شرف القيرواني لم يوفّق في طرحه النقدي على طريقة المقامات، وذلك لأن القضايا النقدية تتطلّب التوسّع والشرح والتفصيل وقلة الاحتفاء بالبديع، وهذا ما يتعارض مع أسلوب المقامات التي تعتمد بالأساس على البديع والإيجاز والتلميح. لكن خلاصة القول هي أن ابن شرف قد شقّ طريقا جديدا إذا ما نظرنا إلى المدونات النقدية التي سبقته، فانتهج بعبقريته وحبّه للإبداع مسلكا جديدا قلّ السالكون فيه، وهذا ما يُحسبُ له.

32. ابن شرف محمد، أعلام الكلام، تصحيح: عبد العزيز الخانجي، مكتبة الخانجي مصر، دار النهضة مصر، ط.1. 1926، ص28.

33. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف . القاهرة، د.ت، ج.1، ص62.

34. ابن شرف، أعلام الكلام، ص28.

35. ينظر: ابن شرف، المصدر نفسه، ص28.

36. ابن شرف، المصدر نفسه، 28.

37. ابن شرف، نفسه، ص28.

38. مرتاض محمد، المرجع السابق، ص127.

39. ينظر مثلا: ابن شرف، رسائل الانتقاد، ص40.

40. خلدون بشير، المرجع السابق، ص195.

## قائمة المصادر والمراجع:


1ـ أبشر، المهدي مأمون، (2015)، أبو عمرو بن العلاء ناقداً، مجلة جامعة دنقلا للبحث العلمي، السودان، العدد 9، ص118.

2ـ إبراهيم، طه أحمد، ( 2004)، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، دار الفيصلية، مكة المكرمة.

3ـ التنيسي، الحسن بن وكيع، (1994)، المنصف للسارق والمسروق منه . في إظهار سرقات أبي الطيب المتنبي، منشورات جامعة قاريونس بنغازي، ليبيا.

4ـ حسين، طه، ( 2014) حديث الأربعاء، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.

5ـ خلدون، بشير، ( 1981)، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

6ـ الذهبي، شمس الدين، (1995)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، مركز البحوث الإسلامية استنبول، تركيا.

7ـ ابن رشيق، الحسن، ( 1981)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، دار الجيل، لبنان.

8ـ السيرافي، أبو سعيد، (1955)، أخبار النحويين البصريين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.

9ـ ابن شرف، محمد، (1926)، أعلام الكلام، مكتبة الخانجي، دار النهضة، مصر.

ـ ابن شرف، محمد، (1983)، رسائل الانتقاد، دار الكتاب الجديد، لبنان.

10ـ الصيقل، محمد بن سليمان، ( 2004)، البحث البلاغي والنقدي عند ابن رشيق القيرواني في كتابه (العمدة)، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، الرياض.

11ـ عباس، إحسان، ( 1983)، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، دار الثقافة، لبنان.

12ـ ابن العديم، الصاحب كمال الدين، ( د.ت)، بغية الطلب في تاريخ حلب، دار الفكر .بيروت.

13. العزاوي، نعمة رحيم، ( 1978)، النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري، وزارة الثقافة والفنون، دار الحرية، بغداد.

14. ابن قتيبة، عبد الله، ( د.ت )، الشعر والشعراء، دار المعارف، القاهرة.

15. مرتاض، محمد، ( 2015)، النقد الأدبي القديم في المغرب العربي . نشأته وتطوّره حتى القرن السادس الهجري مقاربة تاريخية فنية، دار هومه، الجزائر.

16. موافي، عثمان، ( 1998)، الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم تاريخها وقضاياها، دار المعرفة الجامعية، مصر.

17. يزن، أحمد، ( 1985)، النقد الأدبي في القيروانفي العهد الصنهاجي، مكتبة المعارف الجديدة، الرباط.